مرتدية اثواب البطولات الدونكيشوتية ، وفق اسلوب تكتيكي يمارسونه علينا وليس على اعدائنا فحرب تشرين رغم انهم خططوا لها لكي تكون الجسر الذي يعبرون عليه لاجتياز المأزق الذي انحشرت فيه التسوية السياسية ، عبورا جعل امكانية مفاوضات « خيمة الكيلومتر ١٠١ » ممكنة بعد ان كانت مستحيلة في ظل حالة اللاحرب واللاسلم ، التي كانت سائدة بسبب اصرار اسرائيل على المفاوضات المباشرة معها من اجل تحقيق التسوية ــ المؤامرة ... حرب تشرين هذه جعلوا منها بطولة وطنية ، وتسربلوا بردائها لاخفاء حقيقة ما يريدون ، وكذلك حرب التسعين يوما في الجولان فقد كانت التخريج السوري لفك الارتباط على جبهة الجولان مثلما كانت حرب تشرين التخريج المصري لفك الارتباط على جبهة القناة ! ومنذ قبول منظمة التحرير الفلسطينية للسير بركاب مصر وسوريا، بغية الوصول الى جنيف، والجبهة الفلسطينية تشهد التمثيلية ذاتها، فكل خطوة يخطوها اهل منظمة التحرير تشكل انتصارا ، ففي مؤتمر القمة انتصار ، وفي هيئة الامم انتصار ، وهم يحاولون اليوم ان يوهموا الناس بان ذهابهم الى جنيف ومشاركتهم بمؤتمر بيع فلسطين انتصار ما بعده انتصار ! من خلال اظهار مؤتمر جنيف وكأنه البديل «الوطني» لسياسة (الخطوة خطوة) الاميركية ، علما بان القاء نظرة على طبيعة تركيبة المؤتمر والقوى الفاعلة فيه ، تكشف زيف كل الادعاءات التي تحاول تزيين المؤتمر وتخفف من حدة المعارضة له .

ان السؤال الذي يتهربون من الاجابة عليه هو : ماذا يمكن ان يفعلوا لو ان اسرائيل بدعم من اميركا رفضت ان تتراجع عن موقفها ؟

الا ينفرط المؤتمر ، وتعود سياسة (الخطوة خطوة) الاميركية الى العمل من جديد ، ولكن هذه المرة بموافقة جميع الاطراف ! ولعل تصريحات غروميكو بقبول هذه السياسة ضمن نطاق مؤتمر جنيف دليلا على شعورهم بحالة العجز التي يمثلونها في هذا المؤتمر وغيره من كواليس التسوية ــ المؤامرة

حجم التعنت الاسرائيلي

لنعود الى السؤال اياه ، مرة اخرى : اذا كانت كل هذه الاطراف التي تعارض السياسة الاميركية ضمن نطاق التسوية لا تستطيع ان تفعل اكثر مما تفعله العوامل الثانوية فيما حدث وما يزال يحدث ، فلماذا اذن ، تعثرت جهود كيسنجر ، لدرجة وقف معها يذرف دموع التماسيح في مطار بن غوريون ، تعبيرا عن عدم رضائه واسفه لخيبة امله ، واعلانا عن ايقافه لـ « جهوده » الهادفة تحقيق « السلام » في منطقتنا !؟

ان الاجابة التي روجها اهل النظام المصري تقول ان عدم تحقيق ما جاء كيسنجر من اجله ، يرجع الى تعنت اسرائيل وعدم موافقتها على اقتراحاتهم التي وافقهم عليها (العزيز هنري) ! ومع ان تفسيرا كهذا ينبغي ان يؤخذ بعين الاعتبار، بيد ان التسليم به على انه السبب الاساسي وراء ايقاف كيسنجر لجولته وقطع محاولته مؤقتا ، امر من شانه ان يوقعنا بفخ الاحابيل التي يبرع الكيسنجريون في حبكها !

صحيح ان اسرائيل ابدت بعض التعنت في موقفها ولكن ما هو حجم هذا التعنت وما هي طبيعته ؟ وهل يعني ان اسرائيل ترفض التسوية السياسية المطروحة والتي تبذل اميركا جهودا مشهودة من اجل تحقيقها ام ان خلافا جزئيا نشب بين تقديرات كيسنجر للموقف المصري وبين تقديرات الاسرائيليين له ؟

ان الاجابة على هذه الاسئلة يوضحها كيسنجر نفسه باختصار شديد حين يقول ان (صديقي ابا ايبان قال لي يوما « في نظرنا ان تكونوا موضوعيين يعني ان تكونوا متفقين معنا مئة بالمئة » واذا لم نعد متفقين معهم الا بنسبة ٩٨ في المئة .. فانهم بالطبع يتحدثون عن تدهور علاقاتنا » (١) .

ان كلام كيسنجر الصهيوني الذي لا يمكن ان يتطرق الشك الى اخلاصه لاسرائيل باعتباره عنصر ملتزم ومسؤول في الحركة الصهيونية ، يؤكد على ان اميركا واسرائيل كانتا متفقتين على التسوية بنسبة مئة في المئة ، بيد ان التطور الجديد الذي حدث ، والذي ادى الى الاختلاف في التقديرات لموقف اهل النظام المصري .. وبالتالي خلق تباينا في وجهات النظر .. ان التطور يعود الى ان وجهة نظر الولايات المتحدة تغيرت عما كانت عليه سابقا بنسبة اثنين بالمئة . اي ان اميركا طلبت من اسرائيل ان تتفق معها بضرورة تلبية طلب السادات بالانسحاب من الممرات وآبار النفط، دون النص على انهاء حالة الحرب والعداء علنا ، وانما ضمنا ، وان تبني اتفاقها مع مصر ، استنادا الى ثقة « العزيز هنري » بالسادات ، لان الاعلان عن انهاء حالة الحرب من قبل اهل النظام المصري ، امر من شانه ان يحرج موقفهم في هذه الظروف التي تتعرض فيها مصر لحملة اعلامية متهمة اياها بالانفرادية والحلول الثنائية ، وان اميركا لا تريد الاحراج لهم (سنعود الى هذا الموضوع بالتفصيل فيما بعد) .

واذن ، فان التعنت الاسرائيلي ، تعبير يطلق على عدم موافقة الاسرائيليين على وضع ثقتهم بالسادات بنسبة تتطابق تماما مع ثقة كيسنجر به ، ولذلك طلب الاسرائيليون ان تكون المفاوضات مع المصريين مباشرة ، لكي يتاكدوا من ان ثقة كيسنجر بالسادات غير مبالغ فيها ، بيد ان مطلب المفاوضات المباشرة، كان مطلبا تعجيزيا للرد على مطلب المصريين (الانسحاب بدون شروط معلنة) .

من هنا يتضح ان دموع كيسنجر ، بقدر ما تعبر عن اسفه الشديد لوقوع هذا الاختلاف الجزئي بينه وبين الاسرائيليين . فانها تعبر وبشكل اوضح عن مدى ارتباط اهل النظام المصري بالولايات المتحدة الاميركية وضلوعهم في ركابها ، وهذا الامر هو الذي يفسر لماذا اصبحت اميركا تثق باصدقاء « العزيز الهنري » ! ثقة جعلتها تختلف مع اسرائيل ان تضاف الى معسكر اميركا وحلفائها .

انتصار الثورة في الهند الصينية واعادة النظر بالسياسة الاميركية

مما تقدم يتضح ان « التعنت الاسرائيلي » ليس هو السبب الاساسي وراء ما حدث ، اذ كان بامكان كيسنجر ان يواصل جولته ويمارس اسداء توجيهاته للاسرائيليين والمصريين معا للوصول الى النتيجة التي يريدها ، بيد انه فضل التريث ريثما ينجلي الموقف في الهند الصينية لكي تستطيع الولايات المتحدة الاميركية ان تتصرف بهذه المنطقة وفي غيرها من العالم على ضوء النتائج المترتبة على ما سيحدث هناك .

وليس معقولا ان يبقى كيسنجر مقيما في المنطقة في وقت يتطلب فيه الوضع الذي تفجر هناك اثناء غيابه ، اتخاذ قرار خطير وتحديد موقف يفوق في اهميته ما يمكن ان يحصل هنا ، حيث ان ميزان القوى مضمون لصالح الولايات المتحدة الاميركية ولا خوف حاليا على مصالحها او وجودها او نفوذها ، بل على العكس تماما فان الموقف المثير الذي ظهر فيه كيسنجر وهو يذرف دموعه ، قد اضفى شيئا من العطف على اميركا اذ ظهرت وكأنها غاضبة على اسرائيل ومنحازة الى جانب مصر ، علاوة على ان النتيجة التي انقطعت عندها المفاوضات اتاحت مجالا واسعا ، لكل الاطراف لان تظهر بمظهر « متصلب » « مبدئي » غير « خاضع » لاميركا ، فرابين حصل على تاييد كاد يبلغ الاجماع في الكنيست وتدعم مركز حكومته التي « ترسم سياسة اسرائيل بمعزل عن اميركا وعن كيسنجر نفسه» (!) رغم ان هذا الاخير يعتبر واحدا من المسؤولين في الحركة الصهيونية الذين يقررون سياسة ونهج ومواقف الحركة الصهيونية في هذه المرحلة، ولعل الامر المثير هو ان مستشار النمسا ، كرايسكي يؤيد سياسة كيسنجر ووجهة نظره ، وقد ابدى استعداده مؤخرا لان ينظر بجدية لمسالة اقامة مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية (٢) ، اذا ما قدم طلب بذلك ، فاذا كان كرايسكي وكيسنجر

(٢) راجع صحف بيروت ليوم السبت ١٩٧٥/٤/١٩ (النهار مثلا) .

متفقان فكيف يجوز لنا ان نصدق بان رابين يمكن ان يتعنت الى الحد الذي يمكن ان يتناقض مع السياسة الاميركية . علما بان رابين نفسه اعترف بان فك الارتباط على جبهة القناة وانسحاب الجيش الاسرائيلي الى مواقعة الحالية قد تم بناء على طلب اميركا .

ومثلما وقف رابين وقفة الطاووس رافعا رأسه امام اعضاء الكنيست، فان السادات ووزير خارجيته هما الاخران راحا يعددان مناقب حكومتهما التي لا تحيد عن « خط الالتزام الصارم بحق العرب والفلسطينيين » !

هكذا كانت عملية الاخراج لما سمي بـ « الفشل » ، فرصة اتاحت لجميع الاطراف ان تبتز ما شاء لها الابتزاز ، وان تدعي بدون احراج اتعادا ، ساعدها على نشر موجة جديدة من التضليل والخداع .

لقد ظهرت جميع الاطراف ، كما يظهر المتمرغ بدم القتيل ! باستثناء كيسنجر ، فانه حاول ان يمثل دور القتيل ــ الضحية ، التي لا حرج لها ، ولا حول ولا قوة لديها !

ان ضغط تطور الاوضاع في كمبوديا وفيتنام قد وضع كيسنجر امام خيارين اما ان يعلق مهمته هنا ، ويعود لمتابعة الاوضاع هناك واما ان يتسرع في الضغط على اسرائيل ومصر للاتفاق على انسحاب جزئي ليس ذي شان كبير بحيث تبدو الخطوة هزيلة لاتتناسب مع الجهد الذي بذل من جهة علاوة على ان خطوة كهذه سوف تضيع في خضم احداث الهند الصينية ، فانها كانت تسيء الى اميركا والى مصر اكثر من ان تخدمهما ، لذلك فان القول بفشل كيسنجر مبالغ فيه ، ولا يمثل الحقيقة كلها ان لم يكن يستهدف تغطية النوايا الاميركية من جهة اخرى !

طريق الحل هناك في واشنطن

ان المباحثات المطولة والمتشعبة التي اجراها كيسنجر بين الاسرائيليين والمصريين ، كانت اهم من اية مباحثات سابقة واكثرها خطورة ، اذ انها قد وضعت التسوية السياسية لاول مرة على طاولة التفاصيل الصغيرة الامر الذي اظهر خلافات لم تكن منظورة قبل مجيئه ظهورا جعل كيسنجر مقتنعا بان حلها لا يتطلب وقتا وجهودا مكثفة فقط وانما يتطلب تغييرا في الاسلوب ذلك أن طلب رابين ان يجتمع بالسادات لكي يتفقوا على حل مناسب للخلافات بين حكومتيهما، قد احرج الموقف لدرجة ظهر معها ان المفاوضات المباشرة بين الاسرائيليين والمصريين هي الاسلوب الاجدى ، ولما لم يكن بوسع السادات في ظل الظروف الراهنة ان يقدم على خطوة كهذه الخطوة ، وقد تبدو سابقة لاوانها، فقد وجد ان العودة الى جنيف حيث يلتقي السادات ورابين والاسد والملك حسين وابو عمار تحت رعاية واشراف اميركا والاتحاد السوفياتي ، التقاءا ان لم يصل الى نتيجة مرضية بالنسبة لاسرائيل واميركا ، فانه سوف يجعل من اسلوب المفاوضات المباشرة اسلوبا يمكن اتباعه بين الاطراف المتنازعة بدون احراج او خشية من ان تتهم مصر بانها سائرة بطريق الانفراد بحل ثنائي يخرجها عن التضامن مع سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية!

ان موقف الاسرائيليين وارائهم بصدد هذا الموضوع واضحة وآخر ما قاله رابين : (لن نتمكن من بحث امكان اجراء مفاوضات جديدة من اجل السلام الا بعد تسوية خلافاتنا مع الولايات المتحدة . ان التعاون والتفاهم الوثيق بين اسرائيل والولايات المتحدة ، يعدان شرطان لا يمكن من دونهما تجنب اندلاع حرب جديدة) (٣) .

(٣) صحيفة النهار البيروتية في ١٩٧٢/٤/١٩ .

واشار الى ان مؤتمر جنيف يجب الا يعقد « ما لم يجر اعداده بحيث يباشر فورا المفاوضات الثنائية بين مصر واسرائيل للتوصل الى اتفاق جزئي ») .

واذن فان المفاوضات المباشرة هي الاسلوب الذي ينبغي ان يتبع لانجاز الخطوات الجديدة ، وصولا « للسلام » الذي هو الغاية النهائية التي تنشدها اطراف معسكر التسوية المشؤومة !

الحلول الثنائية المنفردة وتضامن مصر مع سوريا واهل منظمة التحرير الفلسطينية

ولكن لماذا يخشى السادات اتهامه بالحلول الثنائية ، بل لماذا يرفض الانفراد بحل ثنائي يخرج مصر من المشكلة التي تعانيها ؟

ان الجواب على هذا السؤال ، يفرض علينا ان ننبه الى ان مروجي اشاعة انفراد مصر بحل ثنائي يخرجها عن دائرة التضامن مع سوريا ومنظمة